

تفسير السعدي

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ^ط وَاتَّقُوا اللَّهَ^ج وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

يُذَكِّرُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِنِعْمَةِ الْعَظِيمَةِ، وَيَحْثَثُهُمْ عَلَى تَذَكُّرِهَا بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَأَنَّهُمْ - كَمَا أَنَّهُمْ يَعْدُونَ قَتْلَهُمْ لِأَعْدَائِهِمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ وَبِلَادَهُمْ وَسَبِيَهُمْ نِعْمَةً - فَلْيَعْدُوا أَيْضًا إِنْعَامَهُ عَلَيْهِمْ بِكَفِّ أَيْدِيهِمْ عَنْهُمْ، وَرَدِّ كَيْدِهِمْ فِي نَحْوِهِمْ نِعْمَةً. فَإِنَّهُمْ الْأَعْدَاءُ، قَدْ هَمُّوا بِأَمْرِ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهِ. فَإِذَا لَمْ يَدْرِكُوا بِالْمُؤْمِنِينَ مَقْصُودَهُمْ، فَهُوَ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ، وَيَعْبُدُوهُ وَيَذْكُرُوهُ، وَهَذَا يَشْمَلُ كُلَّ مَنْ هُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ بَشَرٌ، مِنْ كَافِرٍ وَمَنَافِقٍ وَبَاغٍ، كَفَّ اللَّهُ شَرَّهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّهُ دَاخِلٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ. ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِمَا يَسْتَعِينُونَ بِهِ عَلَى الْإِتِّصَارِ عَلَى عَدُوهِمْ، وَعَلَى جَمِيعِ أُمُورِهِمْ، فَقَالَ: { وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } أَي: يَعْتَمِدُوا عَلَيْهِ فِي جَلْبِ مَصَالِحِهِمُ الدِّينِيَّةِ وَالْدُنْيَوِيَّةِ، وَتَبَرُّؤِهَا مِنْ حَوْلِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ، وَيَتَّقُوا بِاللَّهِ تَعَالَى فِي حَصُولِ مَا يَحْبُونَ. وَعَلَى حَسَبِ إِيْمَانِ الْعَبْدِ يَكُونُ تَوَكُّلُهُ، وَهُوَ مِنْ وَاجِبَاتِ الْقَلْبِ الْمُتَّفِقِ عَلَيْهَا.